

تاريخ استقبال المقال: 2018/01/31 تاريخ قبول نشر المقال: 2018/07/27 ، تاريخ نشر المقال: 2018/12/01

رأس المال الثقافي للأسرة ومظاهر اغتراب التلاميذ *The cultural capital of family and expatriation aspects of pupils*

* د. حنطابلي يوسف

* أ. عطوب كريمة

ملخص:

يشكل رأس المال الثقافي للتلاميذ المكتسب في وسطهم الأسري رصيذا مستبطننا في شكل معارف وسلوكات تتناسب مع متطلبات المسار المدرسي، بفضل التفاعلات التي تتم داخل أسرهم والممتلكات المادية والمعنوية المتاحة لديهم، لتشكل في هذه الحالة محيطا ملائما للتمرن والتعلم والنجاح. أما في حالة عدم ملاءمة هذا الرأس المال الثقافي لأمالهم وأهدافهم قد تشكل لهم احباطا يعيق عملية الاندماج والتكيف مع محيطهم المدرسي، مما يدفعهم للعزلة الاجتماعية وفقدان المعايير كل هذا من شأنه أن يعمق الشعور بالاغتراب لديهم ويدفعهم للنفور من المدرسة.
الكلمات المفتاحية: الرأس المال الثقافي، الأسرة، التلميذ، الاغتراب.

Abstract :

Cultural capital is in the midst of severe underlying illness in the form of asset household these exam papers knowledge commensurate witch the requirements of the school environment, thanks to the interactions within their families and the moral and material property at their disposal, to form in this case an appropriate setting for practicing and learning and success.if you do not fit this cultural capital for their hopes, may constitute a wahzafhm them frustrating hinders the process of adaptation to the school environment, which drives them to social isolation and loss of standards,all this would deepen the sense of alienation and pushes them to dislike of school.

Keywords: cultural capital, family, disciple, alienation.

* أستاذ بجامعة البليدة 2 _ الجزائر ،

University of Blida 2 -Algeria

* باحثة جامعة البليدة 2 _ الجزائر ، الهاتف : 077401174 ، البريد الالكتروني : Karishle96@gmail.com

University of Blida 2 -Algeria

مقدمة:

سهم عملية التطبيع الاجتماعي التي يحظى بها الأبناء في وسطهم الأسري على تربيتهم وتنشئتهم وفق القيم والمعايير والمبادئ التي يقوم عليها هذا الوسط، والذي يعمل بدوره على إبراز نمط تفكيرهم ودورهم الذي يحدد مكانتهم داخل المجتمع، وبالتالي يقوم بمنحهم رأس مال ثقافي يلعب دورا حاسما في رسم مسارهم الدراسي. إذ إن الإرث الثقافي الذي يتميز به التلاميذ المنحدرون من أوساط أسرية ميسورة الحال يتكون من معارف وممتلكات ثقافية وطرائق سلوك ومهارات وأذواق وعلاقات خاصة بالمدرسة والثقافة أي أنه متمثل في جملة من المواقف والكفاءات، التي تحصل عليها هؤلاء التلاميذ من بيئاتهم الأسرية تطبيعا وتنشئتا. وتجعلهم بذلك متعودين على الثقافة بمعناها العام سواء منها ما يندرج في منظومة المدرسة أو حتى ما هو خارج عنها، وهذا من شأنه أن يساهم في تحقيق التوافق والاندماج مع محيطهم المدرسي والاندماج فيه.

في حين أن التلاميذ الذين ورثوا رأس مال ثقافي محدود، عند التحاقهم بالمدرسة يجدون أنفسهم أمام بيئة جديدة مختلفة في هياكلها، ومظاهرها، وثقافتها، ونوعية علاقاتها، ما قد يعرضهم بذلك لجملة من الحاجات الاجتماعية والاقتصادية والضغطات النفسية التي يصعب عليهم إشباعها، فضلا عن بعض الصعوبات التي قد تواجههم عند تحصيلهم للعلم، مما يدفع هؤلاء التلاميذ إلى التمرد والعدوان، أو العزلة والانسحاب، والشعور بالرفض والدونية نحو أنفسهم ونحو الآخرين، وهذا من شأنه أن يسهم في إضعاف واضطراب علاقاتهم بزملائهم أو أساتذتهم، ويخلق بذلك نوعا من عدم التوافق والاندماج مع المحيط المدرسي، مما قد يشكل حالة من الاغتراب بمختلف أشكاله مادام هنالك فجوة بينهم وبين المدرسة، ومادام لديهم أفكارا ينشدون بلوغها وتحول ظروف المجتمع دون تحقيقها.

1 _ مفهوم رأس المال الثقافي:

إذا كان الرأس مال الاقتصادي هو مجموع العائدات والثروات الاقتصادية للفرد، وإذا كان الرأسمال الاجتماعي هو الثورات الناتجة عن إقامة شبكة مستقرة من العلاقات التفاعلية والتعارفية، فإن الرأسمال الثقافي هو رأس مال رمزي يحظى بتقدير معنوي من قبل أفراد المجتمع ويتكون من المؤهلات والقدرات التي يحصل عليها الفرد نتيجة التعليم والرغبة في المعرفة والبحث المتواصل والاجتهاد العلمي والتجربة التاريخية المتراكمة والعمل الجماعي الدؤوب والمثابر.

فإن رأس المال الثقافي هو مصطلح سوسيولوجي بلوره بورديو وأضافه إلى مصطلحات الرأسمال المادي والرأسمال الاجتماعي والرأسمال الاقتصادي ويعني به مجموع المنابت والينابيع والمصادر الثقافية التي ينهل منها الفرد، وتنوع إلى العادات والتقاليد والأعراف والسرديات والأساطير والرمز والدين والفنون. كما يفيد جملة المؤهلات الفكرية التي ينتجها المحيط الأسري والنظام التربوي وتشكل أحد أدوات التحكم والتوجيه والتأثير في الفرد ويتم تراكمها عبر الزمن وتميرها من شخص إلى آخر عن طريق المحاكاة والمشاركة والتقليد ويمكن كذلك نقلها من جيل إلى آخر عبر آلية إعادة الإنتاج واحترام النفوذ. (الخويلدي زهير، 2011)

فيعرف بأنه مجموعة المعارف والقدرات والمهارات النظرية والعملية في إطار ثقافة معينة، ويتألف من الشواهد المدرسية والألقاب الثقافية... الخ، التي تخول لمالكها مراكز ووضعيات تتحدد بحجمها ونوعها. كما يعرف أيضا بأنه رأس مال رمزي يحظى بتقدير معنوي من قبل أفراد المجتمع، ويتكون من مجموعة الاستعدادات المكتسبة التي يعبر عنها الفرد مثل الهيئة وطريقة التحدث، إضافة إلى المؤهلات والقدرات التي يتحصل عليها الفرد نتيجة التعليم والرغبة في المعرفة والبحث المتواصل والاجتهاد العلمي والتجربة التاريخية المتراكمة.

فعموما يعبر مفهوم رأس المال الثقافي عن مجموعة من الرموز والمهارات والقدرات الثقافية واللغوية والمعاني التي تمثل الثقافة السائدة، والتي اختيرت لكونها جديرة بإعادة انتاجها واستمرارها ونقلها خلال العملية التربوية، ويركز هذا المفهوم على أشكال المعرفة الثقافية والاستعدادات التي تعبر عن رموز داخلية مدمجة تعمل على إعداد الفرد للتفاعل بإيجابية مع مواقف التنافس وتفسير العلاقات والأحداث الثقافية. (أفراح جاسم وسعد محمد علي حميد، 2014، 431)

مما سبق يتضح أن رأس المال الثقافي عند بورديو يعبر عن مختلف القدرات والمهارات العقلية والجسدية، وكل أنواع المعرفة والخبرات التي يتحصل عليها الفرد من خلال انتسابه إلى العائلة أو جماعة معينة، أو من خلال مؤهلاته الذاتية التي يملك القدرة على تنميتها وتطويرها.

2_ أشكال رأس المال الثقافي:

يرى بورديو أن رأس المال الثقافي يتشكل من خلال الإلمام والاعتیاد على الثقافة السائدة في المجتمع وخاصة القدرة على فهم واستخدام لغة راقية، ويؤكد أن امتلاك رأس مال يختلف باختلاف الطبقات ولهذا فإن النظام التعليمي يدعم امتلاك هذا النمط من رأس المال الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان على معظم أفراد الطبقة الدنيا النجاح في هذا النظام.

يمكن لرأس المال الثقافي أن يتواجد في أشكال متنوعة حيث يشمل الميول والنزعات الراسخة والعادات المكتسبة من عمليات التنشئة الاجتماعية، كما يمثل أمبريقيا في أشكال موضوعية مثل الكتب والأعمال الفنية والأدبية والشهادات العلمية وفي مجموعة من الممارسات الثقافية مثل زيارة المتاحف، ارتياد المسارح وحضور الندوات وغيرها من الممارسات المختلفة في مجال الثقافة وهو مجال فكري متخصص له منطقته الخاص وعملياته المميزة وله مؤسساته الخاصة مثل النظم التعليمية، الجمعيات العلمية والدوريات وله هوية وأيديولوجية في التبعية والاستقلال عن المجالات الاجتماعية الأخرى كالاقتصاد والسياسة. وأيضا يشمل العروض الفنية السينمائية الهادفة وما يعرض بها من مواد تساهم ببناء الفكر بناء صحيا، وكذلك مراكز البحوث والملتقيات والمنتديات بما تمنحه للفرد من قدرة على الإبداع وبلورة الفكر العميق الذي يساهم في رصانة المجتمع، فضلا عن النشر العلمي والثقافي وغيرها ممن تدخل في إطار رأس المال الثقافي. (أفراح جاسم وسعد محمد علي حميد، 2014، 431)

من ثم ينتج رأسمال ثقافي يوزع ويستهلك في مجال خاص به، وهو مجال الثقافة، الذي يعد مجالا فكريا متخصصا له منطقته الخاص وعملياته المميزة، وله مؤسساته الخاصة، مثل النظم التعليمية، والجمعيات العلمية، والدوريات، وله هويته وأيديولوجيته في التبعية والاستقلال عن المجالات الاجتماعية الأخرى، مثل سوق العمل، بالإضافة إلى أنه يحقق مكاسب التميز للفرد في كافة المجالات. (حسني إبراهيم عبد العظيم، 2011، 36)

هكذا يتوزع الرأسمال الثقافي على ثلاثة عناصر هي شكل مستجد في الهابيتوس الثقافي، وتكمن وظيفته في جعل الإنسان كائنا اجتماعيا ومشاركاً في الفضاء العام، وشكل مموثق في مستوى ثان يتكون من منافع ثقافية وخيرات رمزية مثل الكتب والآثار الفنية والأدوات الرقمية وتتمثل مهمتها في حزم وحفظ العناصر الثقافية، وشكل مؤسساتي في مقام ثالث ويتمثل في العناوين المدرسية والمتاحف والمكتبات ودور الثقافة والمسرح والسينما وتتمثل مهمته في عرضه للمنتجات الثقافية للفرجة والتقبل والتداول والتوزيع والاستعراض والاستهلاك وبالتالي تتحول هذه المؤسسات إلى سوق ثقافي.

فكما تصوره بورديو فإن رأس المال الثقافي ذو أشكال ثلاثة: (الخويلدي زهير، 2011)

_ يمكن أن يكون رأس المال الثقافي متلبسا بذات المتعلم متجزرا فيها في شكل استعدادات دائمة يعبر عنها الجيد ذاته مثل الهيئة وطرائق التصرف وكيفيات الكلام، والعلاقات الميسورة بين المدرسة والثقافة.
_ يمكن أن يكون رأس المال الثقافي متمثلا في عناصر موضوعية على هيئة ممتلكات ثقافية مثل اللوحات الفنية، الكتب، الموسوعات والمعاجم... الخ. على أنه لا يكفي أن يورث الأطفال أدوات الثقافة هذه وإنما ينبغي أن يورثوا أيضا طرائق استعمالها والاستفادة منها.
_ يمكن أن يكون رأس المال الثقافي في شكل مؤسساتي متمثل في شهادات تسندها المدرسة اعترافا بجدارة المتحصل عليها، وعلى هذا النحو يصير رأس المال الثقافي رأس مال اقتصادي لذوي الشهادات الراقية، على أن الحصول على هذه الشهادات في حد ذاته لا يضمن فعليا الحصول على وظائف معينة باعتبار ضرورة المهارة في معرفة الوجوه الناجعة في توظيف الشهادة.

3_ طرق انتقال رأس المال الثقافي :

ينتقل رأس المال الثقافي بين الأفراد بطريقتين:

3_1_ رأس المال الثقافي الموروث من الأسرة:

يوضح بورديو بأن الوالدين يزودان الأبناء برأس المال الثقافي (رث وألسون وولف، 2011، 195)، فمن خلال الأسرة يكتسب الفرد أنماط التفكير والاستعدادات ونظم المعنى، ويكتسب قيما محددة للسلوك. ويسمى برأس المال الثقافي الموروث عن طريق وضع العائلة وعلاقتها بالمجالات الثقافية المختلفة ويحقق هذا الشكل أرباحا في المحل الأول ويحقق مكاسب التميز داخل النظام التعليمي، كما أنه يحقق أرباحا في سوق العمل ويحقق مكاسب التميز للفرد في كافة المجالات ويتشكل رأس المال الثقافي الموروث من خلال منح العائلات لأبنائهم مجموعة من أنماط الحياة المتميزة وشبكة من العلاقات الاجتماعية القوية والتي تصبح شكلا من التميز تستفيد منه الأجيال التالية، حيث تتكون اتجاهات لدى هذه العائلات نحو صياغة سلوك أفرادها، وتشكيل قيمهم على مدار الأجيال. ويتم ذلك من خلال بعض الممارسات، مثل نمط التعامل الراقى، والتأهيل العلمي والأخلاقي، وتدعيم عادات فردية معينة، وتشكيل نمط حياة مختلفة، ومستوى معيشي مغاير، ويسهم كل ذلك في تعميق الاختلافات الطباقية للمجتمع. (حسني إبراهيم عبد الحفيظ، 2011، 36) وفي هذا الصدد يرى بورديو " أن التمايز الموجود حول قابلية المتعلمين لاكتساب أي معرفة، يرجع أساسا إلى الجذور التاريخية الاجتماعية التي ينتمون إليها، مما يجعلهم يتساوون شكليا فقط في اكتساب الثقافة السائدة " (Bourdieu Pierre et Passerons Jane Claude, 1964,34)

3_2_ رأس المال الثقافي المكتسب من التعليم:

إذ يتم عن طريق نظام التعليم بمؤسساته المختلفة والذي يعتبره بورديو أكبر العوائق الثقافية، لأنه مسؤول عن إعادة الأوضاع الاجتماعية القائمة، والذي يتشكل انطلاقا من المؤهل التعليمي وعدد السنوات الدراسية، وتتأثر عملية اكتساب هذا النوع من الرأس المال على بعض العوامل مثل طبيعة المجتمع والزمن، الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد بالإضافة إلى بعض من السمات الجسدية والقدرات الذاتية التي يتمتع بها للفرد.

حيث يرى بورديو أن النظام التربوي يسهم " بقدرته التعسفية على فرض تعسفه الثقافي من علاقات القوة المنعقدة بين الجماعات أو الطبقات المكونة للتشكيلة الاجتماعية حيث يمارس، ومن خلال معاودة إنتاجه للتعسف الثقافي الذي يرسخه، ويسهم بمعاودة إنتاج علاقات القوة التي تؤصل قدرته على الفرض التعسفي. (بورديو بيار، 1994، 14) ويتفق معه لويس ألتوسير في أن التعليم يلعب دورا هاما في نشر الفكر البورجوازي أو إعادة إنتاج الثقافة السائدة. (أوزبن ريتشارد وبورن فان لون، 2005، 176)

فأس المال الثقافي المكتسب عبر التعليم يعمل على تسوية قيم وثقافة الطبقة المسيطرة بوصفها الثقافة والقيم الموضوعية للمجتمع بأكمله، وهو نوع من العنف الرمزي الذي لا يلتفت إليه أحد، ويقوم نظام التعليم بتحويل قيم وثقافة الطبقة المسيطرة إلى معرفة، ويكافئ الطلاب الذين ينفذون عمليات اجترار أو إعادة إنتاج هذه القيم والثقافة. أي بمعنى آخر قولية الأفراد وفق معطيات وإيديولوجيات النظام المجتمعي وإشباعه وغرس كل ما من شأنه أن يكون أفرادا أصحاب أفكار أساسياتها قد بنيت على مقومات قانون وأعراف المجتمع والنظام المسيطر. إذ يرى بورديو أنه "لا يمكن لأي نظام تعليمي مؤسسي أن يضطلع بوظيفة الترسخ الخاصة به إلا إذا قام من خلال استخدامه وسائل مؤسسية معينة، بإنتاج ومعاودة إنتاج شروط العمل التربوي الذي يستطيع ضمن حدود ما توفره المؤسسة من وسائل". (بورديو بيار، 1994، 78)

كما يلاحظ وجود ترابط بين رأس المال الثقافي الموروث والمكتسب، بحيث يمكن للفرد أن يطور رأس ماله الثقافي الموروث عن طريق قدراته العضوية، لهذا فإن رأس المال الثقافي عند بورديو يعبر عن القدرات والمهارات العقلية والجسدية وكل أشكال المعرفة والخبرات التي يتحصل عليها الفرد، إما نتيجة لانتسابه لعائلة أو جماعة معينة أو مؤهلاته الذاتية بتنميتها وتطويرها.

4 _ التحليل السوسيولوجي لمفهوم الإغتراب:

حول كارل ماركس مفهوم الإغتراب متأثرا بهيجل وبفيورباخ، من مفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي-اقتصادي. (بركات حليم، 2006، 39) فالإغتراب في نظر كارل ماركس متجذر في القوانين الاجتماعية الرأسمالية، وبالنسبة له فإن العمل هو أهم فاعلية لنا كبشر، فمن خلاله نخلق عالمنا وأنفسنا، ونتائج عملنا تعكس طبيعتنا وتشكل الأساس لتقييماتنا الذاتية. (Wilfrid zanden James, 1988,418)

كما أن تقسيم العمل في نظره هو الذي يحدد أيضا علاقات الأفراد الواحد بالآخر فيما يتعلق بمادة العمل وإنتاجه. (ماركس كارل وآخرون، 1975، 20) فالأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية هي المسؤولة عن شعور الفرد بالإغتراب، والذي يتجلى من خلال اغتراب العامل في ظل الظروف التي أوجدها المجتمع الرأسمالي، حيث لا تتاح له الفرصة أو الإمكانيات اللازمة لتحقيق الرفاهية والسعادة، فالإنسان المغترب في العمل لا يفقد نفسه فحسب، بل يفقد نفسه بوصفه موجودا نوعيا له خصائص النوع الإنساني، وهو إذ يغترب عن وجوده النوعي وإنما يغترب عن إخوانه في الإنسانية، ومن ثم يفقد تلقائيته ومرح الحياة أي يفقد وجوده الحيوي، ولا يشعر بهويته بل باستئصالها وبثشيؤه. حيث تتحول جميع العلاقات الإنسانية والشخصية إلى مجرد علاقات حسية بين أشياء وسلع.

فالأفراد يغتربون عن أعمالهم لأسباب موضوعية مرتبطة بعلاقات الإنتاج، ونسق السيادة الطبقي وهذا يؤدي بهم إلى الانفصال عن العمل وعن منتجاتهم، كما يؤدي أيضا إلى اغترابهم عن ذاتهم وعن الطبيعة أيضا، حيث أن العامل في ظل النظام الرأسمالي يتصرف بأن ما يقوم به من عمل ليس من أجل نفسه بل من أجل غيره، وأنه بقدر ما يضع نفسه وجهده ووقته في العمل، في مقابل ذلك تكتسب منتجاته قوة في وجه ذاته، حيث تصبح حياته ملكا لغيره، ومصيره ليس بين أيديه بل مرهونا بقوى خارجية تسيطر وتتحكم به، ومضادة لطبيعته حياته وإنسانيته، ناتجة عن العمل ووسائله وظروفه ومنتجاته. (إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، 2011، 43)

صحيح أن ماركس ركز على اغتراب العامل، ولكن نظريته لم تقتصر في واقع الأمر فقط على ذلك، فقد تناول أيضا الإغتراب في علاقة الإنسان بالدولة والدين والمال، واعتبر أن الإغتراب حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية حيث تتحكم قوة غير إنسانية بجميع جوانب الحياة، بما فيها مختلف المجالات الدينية والسياسية والمالية والعلاقات السائدة بين المرأة والرجل. (بركات حليم، 2006، 43)

على خلاف ماركس كما في الظاهر، رأى عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر بأن العجز حالة عامة ولا تقتصر على العامل فقط، بل تتصف بها جميع العلاقات الاجتماعية، معتبرا أن الوسائل والأدوات والمنتجات التي يستعملها وينتجها مختلف أفراد المجتمع من أساتذة وحرفيين وجنود وعلماء ... الخ، ليس لدى هؤلاء أي سيطرة أو تحكم فيما لكونها مستقلة ومنفصلة عنهم في كثير من الأحيان، بل هي التي تسيطر في واقع الأمر، فعلى سبيل المثال فإن الجنود خلال الحروب لا يسيطرون أو يتحكمون في وسائل العنف والقتل، كما أن المواطن يجد نفسه عاجزا أمام الدولة حتى في المجتمعات الديمقراطية، إذ تبسط سيطرتها عليه، من خلال عدم إشراكه في صنع القرارات المهمة التي قد تؤثر في مصيره.

كما نلمس أوجه الاختلاف أيضا بين كل من آراء ماركس ودوركايم، فبينما اعتبر كارل ماركس ظروف العمل وتقسيمه مصدر من مصادر الاغتراب ليس للعامل فقط بل ولجميع الناس، نجد دوركايم يرى أن تقسيم العمل في المجتمع ضرورة لها دور فاعل في تحقيق الانسجام والاندماج والتعاون والتماسك داخل البنى الاجتماعية وتشكيلاتها. (إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، 2011، 124_127) معتبرا بأن تقسيم العمل لا يؤدي دائما إلى التضامن الاجتماعي، فهناك حالات يفشل فيها تقسيم العمل في تحقيق هدفه عندما تفقد الجماعة معاييرها الخلقية من ناحية، وهو ما أطلق عليه دوركايم بتقسيم العمل الأنومي، وهي حالة غير سوية تؤدي إلى التفكك الاجتماعي (الزيات كمال عبد الحميد، 1980، 125)، والذي ينتج جراء تطور المجتمعات ونموها السريع والتغيرات الحاصلة على مستوى بنيتها الاجتماعية.

لقد حاول دوركايم تفسير الاغتراب من خلال تناوله بصورة ضمنية في تحليله لما أسماه بالأنوميا، أو تحلل المعايير، حيث اعتبر أن سعادة الإنسان لا يمكن تحقيقها بصورة مرضية ما لم تكن الحاجات متناسبة أو متوازنة مع الوسائل التي يمتلكها لإشباعها. (إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، 2011، 123) ولهذا فإذا كانت هذه الحاجيات تتطلب أكثر مما يستطيع فعله فإنه يشعر بالخيبة والألم.

يشير مصطلح الأنوميا لدى دوركايم إلى حالة تدهور المعايير التي تضبط العلاقات الاجتماعية، فتنشأ عن ذلك أزمت حادة بين عدة فئات متنافسة أو متناحرة، ما يهدد الإحساس بأهمية التضحية في سبيل المجموع، إذ تستعمل الفئات القوية وسائل غير عادلة في فرض إرادتها على الفئات الضعيفة. (بركات حليم، 2006، 44) وهذا ما من شأنه أن يشكل تهديدا على تماسكهم الاجتماعي وتضامنهم والذي قد يؤدي إلى النزاع والصراع فيما بينهم.

لقد ربط دوركايم بين كل من ظاهرتي الانتحار والوضع الأنومي في محاولة لتحليل أمراض تفسخ المجتمع، بحيث تتعطل القيم والمعايير التقليدية من دون أن تحل مكانها قيم ومعايير جديدة فاعلة، ومن هنا فإنه اهتم بشكل خاص بأنواع الانتحار في ظل التطورات الاجتماعية التي شهدتها أوروبا بعد ظهور الثورة الصناعية، والتي تتمثل في الانتحار الأناني الذي يحدث نتيجة عدم قدرة الفرد على الاندماج في المجتمع أو الانتماء، إضافة إلى الانتحار الأنومي الذي يكثر في المجتمعات التي تشهد تطورا سريعا في مختلف جوانب الحياة سواء الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية.

إن محاولة دوركايم لتفسير ظاهرة الاغتراب يسودها بعض الغموض وعدم الوضوح، لأنه لم يذكر هذا المفهوم اصطلاحا بل قصده مضمونا بسبب توجهه الوظيفي الذي يدعو للاستقرار والتكامل والتماسك وليس للصراع والاضطراب، لهذا فقد اعتبر أن الاغتراب والذي أطلق عليه مصطلح اللامعيارية حيث تفقد القيم والمعايير قدرتها على ضبط سلوك ورغبات وسد حاجياتهم بل لعدم معرفة حدود هذه الحاجات. (الزيات كمال عبد الحميد، 1980، 125)

يلتقي دوركهايم في تفسيره للاغتراب مع تلميذه روبرت ميرتون في أن الاغتراب هو الانفصال عن القيم الأساسية للمجتمع، حيث يرى بأن المجتمعات الحديثة التي تعرف بافتقادها للتماسك والتضامن وغياب القيم والمعايير، تمتلك في حقيقة الأمر مجموعات كبيرة ومتناقضة من المعايير التي ليس لأي منها قوة الإلزام على الجميع، مفسرا بذلك الاغتراب من خلال عدم مشاركة الأفراد في تحديد الإطار العام لقيم المجتمع. (إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، 2011، 130) فالاغتراب يبدأ من عدم احترام القيم السائدة في مجتمعهم والمتعارف عليها ومحاولة كسر بعض من قيودها لأنها تقف كحاجز أمام تحقيق الأهداف المنشودة، وعلى هذا الأساس يخلق لدى الشخص المغترب إحساسا بالشك فيما هو خطأ ويجب تركه وما هو صواب ويجب اتباعه، أخذا بعين الاعتبار إمكانياته وقدراته.

يعتبر الانحراف الناتج عن تفاقم حالة الأنومي حسب ميرتون أن الفرد ليس المسؤول عن حدوثه، بل أن النظام الاجتماعي برمته هو الذي يتحمل وزر الانحراف الحادث في سلوك الأفراد، ويحدث الانحراف من وجهة نظره، عندما تعجز الوسائل التي يقرها النظم الاجتماعية عن تحقيق أهداف الفرد. (محمد يزيد أحمد الرفاعي، 2001، 172) كما توصل إلى وجود خمس نماذج لردود الفعل اتجاه اللامعيارية وهي (التمائل، التجديد أو الابتكار، الطقوسية، الانسحابية، التمرد)، وعدّ ثلاثة نماذج بكونها منحرفة وهي (التجديد أو الابتكار، الانسحابية، التمرد) (Lukes Steven, 1961, 151) أما النموذجين المتبقين (التمائل والطقوسية) فقد اعتبرهما كنموذجين للتكيف.

5 – مراحل تشكل الاغتراب:

تمر عملية الاغتراب بثلاثة مراحل أساسية ومتتالية حيث أن كل مرحلة تؤدي إلى المرحلة التالية وتتمثل في:

5 – 1 – مرحلة التهيؤ للاغتراب:

تنطلق هذه المرحلة من طبيعة البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الموجودة داخل المجتمع، والظروف والأوضاع السائدة فيه، إضافة إلى موقع ومكانة الأفراد فيها من حيث مدى حرمانهم من حقوق المشاركة في مؤسساتهم ووسائل الإنتاج في العمل، وقدراتهم على التمسك بحقوقهم والمشاركة في سبل تغيير أوضاعهم بالاتجاه الذي يريدون في سياق القوانين العامة التي يسهمون في وضعها أصلا.

حيث ينتاب الفرد شعور بوجود تناقضات واختلافات واضحة في الأمور الطبيعية والعادية، وتفقد الأشياء معانيها لديه، ويشعر بالعجز في إيجاد معنى وهدف لحياته، والسيطرة عليها وعلى مختلف المواقف التي يتعرض لها في ظل غياب المعايير والقواعد التي تحكمه، ويحدث ذلك حينما لا تتبين صلة العضوية للفرد، بين دوره كفرد والأهداف الكلية للحياة الاجتماعية والحالة المقبلة لهذه الصورة، هي إدراك الاتصال الوجودي بين هدف الإنسان وخطة الحياة، وفهم الهدف من مجمل نشاطه باعتباره نشاطا هادفا (إسكندر نبيل رمزي، 1988، 227) يكمل غيره من الأنشطة الأخرى.

فخلال هذه المرحلة يجد الفرد صعوبة في فهم وإدراك العلاقة الموجودة بين أفعاله الفردية وأنشطة الحياة المختلفة التي يمارسها الآخرون، كما يشعر بتباعد كبير بين غاياته وغايات مجتمعه، مما يشكل له حالة من العزلة الاجتماعية والتي تدل على الانفصال بين ما هو جزئي الذي يمثل الفرد وما هو كلي أي المجتمع.

5 – 2 – مرحلة الرفض والتفوق:

في هذه المرحلة يكون الإنسان واع بوضعه الهامشي في المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا ما يشكل له بصورة تدريجية حالة من عدم الرضى عن علاقاته بالمجتمع والدولة والمؤسسات التي ينتهي إليها، فيرفض الأنظمة والثقافة السائدة، ويسعى ليس لتغييرها عن طريق المشاركة في الحياة السياسية، بل للهروب منها عند

أول فرصة للتحرر من مشاعر عدم الرضى والقلق والغضب والخوف والنفور من كل شيء، وهذا نتيجة للمعاناة والظلم الذي خبره في مجتمعه. وهنا يصبح الأفراد في ظل سياق مجتمعي محدد يتوقعون مقدما أنهم لا يستطيعون أو لا يملكون تقرير أو تحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج، ومخرجات من خلال سلوكهم أو فعاليتهم الخاصة (النكلاوي أحمد، 1989، 28). ويحدث هذا نتيجة التعارض الموجود بين اختيارات الأفراد وما يريدونه، وبين واقعهم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي المفروض عليهم، مما يخلق لديهم صراعا في اختيار وتحقيق الأهداف.

فخلال هذه المرحلة يعيش الإنسان في عزلة عاطفية ومعرفية عن الآخرين لأنهم في اعتباره غرباء عنه، وهنالك يصبح مهينا للمرور إلى المرحلة الثالثة لاغترابه.

5 - 3 - مرحلة تكيف المغترب:

هذه المرحلة تتكون على صعيد السلوك الفعلي، والبحث عن وسائل التحرر من الأوضاع والأنظمة التي تسيطر على حياة الفرد بالعمل المنظم، من خلال حركات اجتماعية وسياسية ونقابية لتغيير الواقع، والبحث عن بدائل مصيرية. لكن خلال هذه المرحلة فإن الفرد يشعر بالفراغ والوحدة وانعدام الأمن والعزلة الاجتماعية والرفض، وهذا ما قد يتسبب في إقصائه من الفعاليات الاجتماعية، ولجؤه إلى الانسحاب منها بدلا من المواجهة والاندماج فيها، نتيجة شعوره بعدم الانتماء إليها.

فبعض الناس يفضلون الانسحاب على المواجهة، وبعضهم يشيد لأنفسهم حصونا ويختبؤون فيها دون أمل في استعادة إرادتهم، وآخرون ينغمسون في الحاضر فلا يستطيعون الابتعاد عن مشاكلهم وهمومهم. (المغربي سعيد، 1972، 43) وفي مثل هذه المرحلة من الاغتراب كثيرا ما يضطر الإنسان الذي يعيشه إلى الاختيار بين واحد من ثلاثة بدائل سلوكية في محاولة منه لتجاوز اغترابه وتمثل في:

- _ الانسحاب أو الهرب من الواقع الذي يسبب الاغتراب كما يتجلى بالهجرة والمنفى والمقاطعة.
- _ التظلم والذي يتجلى من خلال الامتثال والاندماج الكامل والمسيرة والخضوع لكل المواقف.
- _ والرضوخ للأمر الواقع سواء بسبب العجز واليأس من تغيير الواقع، أو لعدم القدرة على الهرب أصلا، وقد ينشأ عن مثل هذا الخيار في حالات الضعف، قبول ظاهري ورفض ضمني، ترافقهما نزعة التحلي بالصبر والتقنع والتملق والتسويغ، التمرد الفردي أو العمل الثوري ضمن حركات اجتماعية تسعى لتغيير الواقع وتجاوز حالة الاغتراب ووضع حد لحالة العجز (بركات حليم، 2006، 62)، وهذا بسبب شعور الفرد بالرفض والكرهية لكل ما يحيط به مما يدفعه للتمرد على المجتمع بما يحتويه من مؤسسات وأنظمة، أو حتى بالتمرد على النفس.

6 - مظاهر اغتراب التلاميذ:

تحتل المؤسسات التربوية أهمية كبيرة في حياة الفرد، لما تلعبه من دور في عملية تربية وتعليم وتنقيف التلاميذ، حيث يقع على عاتقها مسؤولية تنمية شخصيتهم وتطوير مهارتهم الفكرية والابداعية والمعرفية. ولكن من خلال هذه العملية يتلقى التلميذ أنواعا متباينة من القيم والآراء التي تلتقي أحيانا وتتنافر أحيانا أخرى بسبب الاختلاف في الفكر والسلوك والمنهج الذي يسلكه كل معلم أو أستاذ لتصبح بذلك هذه المؤسسات ميدانا للصراع بين البناء والهدم لتتجمع حصيلتها في ذهن التلميذ، فهو يسمع في المؤسسات التعليمية عن الأخلاق والفضيلة وضرورة التقيد بهما، وخطورة الخروج عن قانونهما. وفي الجانب الآخر يسمع عن الحرية والحياة العصرية، وضرورة التحلي بهما، وعن خطورة الكبت والقيود والقوطة والتكلس في حمأة التقاليد. وهذا في ظل غياب أو عدم وضوح الرؤية أمامه والازدواجية في الحياة التي يعيشها، لتصبح المدرسة بذلك أهم المؤسسات الاغترابية للتلميذ، دافعة إياه إلى العزلة وفقدان الهوية، والانفصال عن ذاته ومجتمعه، تجريده من انسانيته

بتحويله إلى سلع أو أشياء تصنع وفق المعايير والمواصفات التي يطلبها أصحاب السلطة في المجتمع. وذلك من خلال تحويل المؤسسات التعليمية إلى مصانع تنتج أفرادا مغتربين، وليسوا أكثر من آلات بشرية تسمع وتطيع، بغير مناقشة ولا ابداء رأي، (إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، 2011، 40) وإلا تم اعتبارهم متمردين ومشاغبين يستحقون العقاب الصارم.

يتجلى التعليم القهري من خلال عدة وسائل من بينها المناهج الدراسية وطرق التدريس ، التي تعد وسائل لإحباط التلاميذ و ايقاعهم في محيط الاغتراب و اليأس ، لأنها تقوم بذلك من خلال عدم إشراك التلاميذ في عملية إعداد مناهجهم الدراسية مما يشعرهم بعدم أهميتها ، وأنها غريبة عنهم ، وهذا ما يدفعهم إلى رفض الدروس لأنها قد تتناول موضوعات مملة أو بعيدة كل البعد عن واقعهم المعاش (سالم عبد الرحمن أنور، 1998، 67) سبب استيرادها من مجتمعات أخرى تختلف عن مجتمعهم حضاريا و ثقافيا و اقتصاديا و اجتماعيا ، و عدم تكييفها كي تتناسب مع طبيعة مجتمعهم ، ما يجعلهم في تبعية تربوية للآخر ، ويختلف لدى العديد من التلاميذ شعورا بالنقص ، وضعف الانتماء لبلدهم ، مما يقلل من مبادئهم و التزامهم و يهدد هويتهم ، و يخلق احساس بالعجز والعزلة والانفصال عن أنفسهم و عن مجتمعهم حيث يدركون وجود قطيعة بين ما تعلموه في مدارسهم و بين ما يصادفونه في حياتهم من مواقف و سلوكيات و مظاهر واتجاهات.

إن ما يزيد من انتشار الاغتراب في أوساط التلاميذ، غياب تكافؤ الفرص التعليمية في العديد من الدول النامية، والذي بدوره يؤدي إلى زيادة الشعور بالإحباط لدى الكثير منهم بسبب عجزهم عن الحصول على حقوقهم التعليمية، كما أنت التعليم الذي لا يقوم على العدالة الاجتماعية، قادر على ابعاد الكثير من الأفراد عن واقعهم، وفصلهم عن عالمهم، وأوجد لديهم الشعور بأن التعليم غريب عنهم. مما يولد لدى بعض منهم النقمة على مجتمعهم والأنظمة المختلفة، مما يدفعهم للتمرد والعصيان كسبيل لإحداث التغيير، أو الميل إلى الانسحاب والانعزال بسبب الإحساس بالعجز والفشل الذي زرعه النظام التربوي في نفسيته.

كما تعتبر طرق التدريس المستعملة في كثير من المجتمعات تؤدي أيضا دورا اغترابيا من خلال الاعتماد بشكل أساسي على التلقين الذي يضعف قدراتهم الابتكارية والابداعية والتفكير الناقد، وعدم مراعاة الفروق الفردية (إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، 2011، 42-43) بين التلاميذ وتحويلهم إلى مجرد كائنات متأقلمة ومتمكيفة يمكن السيطرة عليها والتحكم بها.

في أغلب الأحيان نجد العديد من التلاميذ خاصة في المراحل الدراسية المتقدمة، كالتعليم الثانوي، يفتشون عن هويتهم ويبحثون عن دور يؤديه داخل مؤسساتهم التعليمية، لكن من دون جدوى، مما يؤدي إلى ضياع أهدافهم واضطراب المعايير لديهم، وينتج عن ذلك تمرد وعصيان، أو احباط وعجز، وهذا بسبب تطلّعهم إلى شكل من التنظيم على مستوى المؤسسة التعليمية، وحتى على مستوى المجتمع، مما يحقق لهم الفرصة لأداء دور فعال، ويحقق لهم الرضا. (إسكندر نبيل رمزي، 1988، 303-304) وهكذا يقوم التلميذ بالدور الناقد والخلاق والذي عجزت مدرسته عن القيام به وتلقينهم إياه حتى يتمكنون من تقييم الأمور والحكم على الأشياء وفهم الأمور حولهم، وهذا يساعدهم في بناء اتجاهاتهم وتحديد أهدافهم وتبني معايير محددة من دون ضغوطات أو املاءات تفرضها مؤسساتهم التعليمية، من أجل تجاوز قهر الاغتراب.

خاتمة:

يجد التلاميذ الذين يمتلكون رأس مال ثقافي ثري متموضع داخل أسرهم، أنفسهم متشبعين بإرث ثقافي يزن ذهبا، مشكلا لهم بذلك رأس مال يجعلهم متميزين بلباسهم وأدواتهم المدرسية ومقتنياتهم وهواياتهم وحتى طريقة كلامهم وتصرفاتهم. هذا التميز ينعكس في كثير من الأحيان على تعامل المعلمين والأساتذة والإداريين معهم، إذ غالبا ما يكونون أكثر ميلا للتسامح والتعامل المرن مع هؤلاء التلاميذ، في حين أن التلاميذ الآخرين

الأقل حظا في امتلاكهم لرأس مال ثقافي متميز، قد لا يقابلون بنفس التسامح والمرونة وخاصة من طرف أقرانهم، بحيث يجدون أنفسهم غير قادرين على تكوين صداقات حقيقية مع غيرهم من التلاميذ، مما يشعرهم بالملل والنفور من المدرسة التي لا تعكس ذواتهم سواء في علاقاتهم مع معلمهم أو رفاقهم أو حتى في مضامين المواد التي يدرسونها ولا يستطيعون التجاوب معها، حيث يسود في المدرسة خطاب يشكل قطيعة مع الخطاب الذي عهدوه داخل أسرهم، بما يحمله هذا الأخير من قيم ومعايير ومظاهر وسلوكيات متباينة. هذا الوضع يجعل التلميذ غير راض عن الواقع الذي يعيشه، وذلك نتيجة لما تنقله المدرسة من أفكار وصور ذهنية لا علاقة لها بالبيئة التي يعيش فيها، مما يشعره بالاغتراب داخل المدرسة ومن حولها. وعليه يمكن القول أنه كلما كانت المسافة بين المدرسية وثقافة الأسرة كبيرة، كلما زادت مظاهر اغتراب التلميذ في محيطهم المدرسي وأصبحت أكثر تفاقما وحدة.

قائمة المراجع:

- (1) زهير الخويلدي. (2011). نظرية الهابيتوس والرأس المال الرمزي عند بيار بورديو. (11:30)، 2 ديسمبر، 2017 من الموقع الإلكتروني: www.m.ahewar.org > s.asp
- (2) أفراح جاسم وسعد محمد علي حميد. (2014). الهابيتوس وأشكال رأس المال في فكر بيار بورديو. مجلة الأستاذ، المجلد 2، العدد 210، ص(438-419).
- (3) حسني إبراهيم عبد العظيم. (2011). الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي _ قراءة في سوسيولوجيا بيار بورديو. مجلة إضافات، العدد 15، ص(77-55).
- (4) رث والاس وألسون وولف. (2011). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. ترجمة محمد عبد الكريم الحوراني. الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- (5) Pierre Bourdieu et Jane Claude Passerons. (1964). Les héritiers-les étudiantes et la culture. Paris .
- (6) بيار بورديو. العنف الرمزي (بحث في أصول علم الاجتماع التربوي). ترجمة نظير جاهل. بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994.
- (7) ريتشارد أوزبن وبورن فان لون. (2005). علم الاجتماع. ترجمة حمدي الجابري. القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- (8) حليم بركات. (2006). الاغتراب في الثقافة العربية _ متاهات الإنسان بين الحلم والواقع. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- (9) James Wilfrid Zanden. (1988). The social experience an introduction to sociology. New York, Randon house.
- (10) كارل ماركس وآخرون. (1975). المادية التاريخية - مختارات فلسفية. ترجمة حنا عبود. بيروت، دار الفارابي.
- (11) إقبال محمد رشيد صالح الحمداني. (2011). الاغتراب _ التمرد قلق المستقبل. عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.

- (12) كمال عبد الحميد الزيات. (1980). بناء نظرية في علم الاجتماع – نموذج تقسيم العمل. القاهرة، مكتبة النهضة.
- (13) محمد يزيد أحمد الرفاعي. (2001). الاغتراب وأزمة الهوية. بيروت، دار الطليعة.
- (14) Steven lukes. (1961). Essay in social theory. New York, Randon house.
- (15) اسكندر نبيل رمزي. (1988). الاغتراب والإنسان المعاصر. الإسكندرية، دار المعارف الجامعية.
- (16) أحمد النكلاوي. (1989). الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر. القاهرة، دار الثقافة العربية.
- (17) سعيد المغربي. (1972). الاغتراب في حياة الإنسان. القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات النفسية.
- (18) سالم عبد الرحمن أنور. (1998). نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع. بيروت، دار النهضة العربية.